التضمين بين التراث والتناص

اعداد
فاطمة توفيق علي منصور
باحث دكتوراه بقسم اللغة العربية – كلية البنات جامعة عين شمس

أ.د.م/ بسمة محمد بيومي
أستاذ مساعد النقد والأدب الحديث.
قسم اللغة العربية – كلية البنات جامعة عين شمس

د. آلاء عبدالغفار
مدرس النقد والبلاغة
قسم اللغة العربية – كلية البنات جامعة عين شمس

التضمين بين التراث والتناص

اعتاد العرب قديمًا أن يُطعموا أشعارهم ببيت أو شطر من قصيدة مشهورة، أو لمحة من أخبار أو حكايات مضت وبقيت في الأذهان مما يضفي على قصيدتهم شكلاً من أشكال الثقافة والأناقة والتمكُن. وتعددت الفنون في القصيدة العربية دون رصد أو تدوين أو تصنيف حتى مطلع القرن الثاني الهجري حيث ظهر مُبدعون اهتموا بحصر وتبويب وتعريف هذه الفنون.

أولاً: التضمين في التراث

التضمين connotation، هو هذا المصطلح العربي القديم تنقل بين كتب ومؤلفات علمائنا العرب، يكتسب خبراتهم فيزداد نمواً وتوسعاً على مر العصور. يرصد البحث مراحل النشأة والتطور لهذا المصطلح حتى عصرنا هذا، وكيف صمد وتحدى التيارات الغربية العاصفة فلم تؤثر فيه إلا إيجاباً ليزداد تألقاً وقوة.

كان أقدم ما وصل إلينا ما كتبه الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ه – ١٨٠ه) فقد تناول التضمين لغوياً وعروضياً. وكان أقدم من تناوله بلاغياً ونقدياً عبد الله بن المعتز (ت: ٢٩٦ه) في كتابه **البديع**، ثم جاء ابن رشيق القيرواني (ت: ٤٦٥ه) فأبدع في شرحه وتصنيفه، وأضاف إليه جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ه) مستعرضاً جهود من سبقوه، ثم الشيخ عبد الرحيم العباسي (ت: ٩٦٣ه) مدافعاً عنه ضد السرقات والانتحال والتشويش... وهكذا، إلى أن جاء الدكتور منير سلطان (ت: ٢٠١٦م) فقدمه – بعد غياب استمر عدة عقود – إلى المكتبة البلاغية بشكله الحديث المكتمل في كتابه: **التضمين والتناص**، وصف رسالة الغُفران للعالم الآخر نموذجاً.

التضمين عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ه- ١٨٠ه)

جاء في باب ض م ن:

الضَمَّنُ والضَّمان واحد، والضَّمين، الضامن وكل شيءٍ أحرز فيه شيءٌ فقد ضمنه، وتضمَّنته الأرض والقبر والرحم، وضمنته القبر، قال:

كَـــأنْ لَـــمْ يكُـــنْ منهـــا ثَقِـــيلاً ولـم يَعِـشْ بهـا سَـاكناً أو ضـمَّنته المقَـابِرُ

والمُضَمَّنُ من الشعر: ما لم يتم معنى قوافيه إلا في الذي قبله أو بعده كقوله:

يَـــاذَا الـــذّي فـــي الحُـــبِّ يلحـــي أمـــا

وَاللهِ لـــــو علقـــــتَ منـــــهُ كمـــــا

علقـــت مِـــنْ حُـــب رَحـــيم لَمَـــا

وهي أيضاً مسطورة مُضمَّنة أي أُلقى من كل بيت نصف وبُنى على نصف. وكذلك المضمن من الأصوات، تقول للإنسان: قِفْ (فلَى) بإسْمام اللام الحركة، وعلى فعل بتسكين العين وتحريك اللام فيقال: هذا صوت مُضمَّن لا يستطاع الوقوف عليه حتى يوصل بسمة (كذا).

والضامنة في كل بلد، ما تضمن وسطها. والضَّمِنُ: الذي. به زمانة من بلاء أو كسر أو نحوه. وفي الحديث: "ومن اكتتب ضمناً بعثه الله ضَمِنا يوم القيامة[1].

وجاء ابن المعتز (ت: ٢٩٦ه) في كتابه **البديع** فجعل التضمين من محاسن الكلام فقال: "ومنها حسن التضمين. قال الأخيطل (من الكامل):

وَلَقَـــدْ سَـــما للخُـــرَّ مِـــنَّ فَلَـــمْ يَقُـــلْ بَعْـــدَ الـــوَغَى لَكِـــنْ تَضـــايَقَ مقـــدمي

هذا البيت نسبه أسامة بن مُنقِذ لمسلم بن الوليد، إذ قال:

ولقـــد ســـما للخرَّمِـــيِّ، فلـــم يَقُـــلْ يَـــوْمَ الـــوَغَى، إنـــى تَضَـــايقَ مَقْـــدِمي

وقال آخر (من السريع):

عَـــوَّذ لمـــا بِـــتُّ ضـــيفا لـــه أقراصـــــه نجـــــلاً بياســـــين

فبـــتَّ والأرضُ فِـــراش وقـــد غَنَّـــت قِفـــا نَبـــكِ مضـــاريني[2]

وَعوَّذَ: (تعَّوذ) به: لجأ إليه واعتصم. ويُقال: تَعَوَّذ بالله*
ضمَّنَ الشاعر في البيت الثاني مطلع مُعلقة امرئ القيس التي قال فيها:

قِفَـا نَبْـكِ مِـنْ ذِكَـرى حبيـب وَمنْـزِلِ بِسَـقْطِ اللَّـوى بـين الـدَخُولِ فحَوْمَـلِ[3]

وفسَّر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣ه) في كتابه الصحاح معنى التضمين في باب ضمن فقال: "ضمنت الشيء ضماناً: كلفت به، فأنا ضامن وضمين، وضمنته الشيء تضميناً فتضمنه عنى، مثل

([1]) الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق د. مهدى المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، الجزء السابع، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام سلسلة المعاجم والفهارس (٥٠)، دائرة الشئون الثقافية والنشر، ١٩٨٤م، ص ص ٥٠-٥٢.

([2]) عبد الله بن المعتز، **كتاب البديع**، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس عليه أغناطيوس كراتشفوفسكي، لينجراد، ١٩٧٩م، ص٦٦.

* د. إبراهيم أنيس وآخرون، باب "عوذ" **المعجم الوسيط**، الجزء الثاني، مجمع اللغة العربية، استانبول: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٢م، ص٦٣٥.

([3]) امرؤ القيس بن حجر الكندي، "**ديوانه**"، **دواوين الشعراء العشرة**، تحقيق محمد فوزي، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٧م، ص٣٣.

عرفتهُ، وكل شيء جعلته في وعاء فقد ضمنته إياه. والمضمَّن من الشعر: ما ضمنته بيتاً والمضمَّن من البيت: ما لا يتم معناه إلا بالذي يليه"[1].

وهكذا يختلف الجوهري عن الفراهيدي في أنه ذكر أن المُضَمَّن من الشعر هو ما ضمنته بيتاً، والمضمَّن من البيت هو ما لا يتم معناه إلا بالذي يليه؛ ولم يذكر أمثلة على ذلك، في حين ذكر الفراهيدي أن المضمَّن من الشعر هو ما لم يتم معنى قوافيه إلا في الذي قبله أو بعده، وعزز قوله بمثال سبق ذِكرهُ. وبذلك يأتي تعريف الفراهيدي أكثر شمولاً ووضوحاً.

وجعل علي بن عيسى الرُّماني (ت: ٣٨٤ه) للتضمين باباً مخصصاً في كتابه **النكت في إعجاز القرآن الكريم** ضمن عشرة أبواب لأقسام البلاغة هي: باب الإيجاز وباب التشبيه وباب الاستعارة وباب التلاؤم وباب الفواصل وباب التجانس وباب التصريف وباب التضمين وباب المبالغة وباب البيان وفي باب التضمين قال: "تضمين الكلام هو حصول المعنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه والتضمين على وجهين: أحدهما ما كان يدل عليه الكلام دلالة الإخبار، والآخر ما يدل عليه دلالة القياس. فالأول كذكرك الشيء بأنه محدثٌ، فهذا يدل على المحِدث دلالة الإخبار، والتضمين في الصنفين، جميعاً، إلا أنه على الوجه الذي بيَّنا"[2]

والقياس في اللغة: "رد الشيء إلى نظيره"[3].

وكَتَب أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥ه) عن الازدواج في الباب الثامن من كتابه كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، لكنه لم يُصرَّح بأنه تضمين[4] رغم أنه في الواقع تضمين.

وعَدَّ محمد بن الطيب الباقلاني (ت: ٤٠٣ه) التضمين من وجوه البلاغة وذلك في كتابه **إعجاز القرآن**، فقال: "ذكر بعض أهل الأدب والكلام أن البلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، **والتضمين**، والمبالغة، وحسُن البيان"[5].

فبينما ذهب الرُّماني إلى شرح القسمين من حيث دلالة الإخبار ودلالة القياس، عرض الباقلاني القسمين من حيث دلالة الإخبار ودلالة القياس، عرض الباقلاني القسمين من حيث البناء كالمعلوم الذي يدل على العالم، ومن حيث الصفة التي تدل على الموصوف. وضرب مثلاً: "بسم الله الرحمن الرحيم" التي تدل على تعظيم الله تعالى.

ويُعدُّ ابن رشيق القيرواني (ت: ٤٦٥ه) من النقاد والبلاغيين الذين أضافوا إلى من سبقهم في موضوع التضمين؛ إذ يعرض سبعة أنواع من التضمين في الشعر العربي:

النوع الأول: أن يُضَمِّنُ الشاعر بيتاً أو جزءاً من قسيم مثلما احتذى كشاجم قول ابن المعتز يقول القيرواني: "احتذى كشاجم قول ابن المعتز [هكذا] والصواب عباس بن الأحنف في أبيات له: [الطويل]

وَلا ذَنبَ لي إنْ شَاءَ ظنُّك بَعْدَمَا ... وفَيْتُ لكم. ربي بِذَنْبِكَ عَالِمُ

وما أبداً مُسْتَعتب مُنْفَصلٍ ... كما قَال عباسُ وأنفي رَاغِمُ

---

(1) إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**، الجزء السادس، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، بيروت: دار العلم للملايين، د.ت، ص٢١٥٥.

(2) علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الرماني المعتزلي، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، سلسلة ذخائر العرب، تحقيق محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، ط٣، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م، ص١٠٢.

(3) د. إبراهيم أنيس وآخرون، "باب قاس"، **المعجم الوسيط**، الجزء الثاني، ص٧٧٠.

(4) ينظر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، **كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر**، حققه وضبط نصه د. مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، طبعة محمد أمين الخانجي، ١٣٢٠هـ مقارنة مع الطبعة المحققة لـ محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم إصدار عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٧١م، ص ٢٨٥

(5) محمد بن الطيب الباقلاني، **إعجاز القرآن**، القاهرة: المطبعة السلفية ومكتباتها، ١٣٤٩هـ، ص٢٠٢.

تَحَمَّــلْ عظــيمَ الــذَّنْبِ ممــن تُحبُــه وإن كُنْــتَ مظلومــاً فقُــلْ أنــا ظــالِمُ[1]

وأبيات عباس بن الأحنف التي منها البيت المُضَمَّن هي قوله: [الطويل]

وصــبٌ أصَــابَ الحــبُّ سَــوْدَاءَ قَلبــهِ فَأَنْحَلَــــهُ والحُــــبُّ داءٌ مُــــلازمُ

فَقُلْــتُ لــه إذْ مَــاتَ وَجْــداً لِمَــا بــه مَقَالَــةَ نُصْــح جَانَبَتهــا المــآثِمُ:

تَحَمَّــلْ عَظــيمَ الــذَّنْبِ مِمــنْ تُحِبُــهُ وإن كُنْــتَ مظلومــاً فقــل: أنــا ظــالمُ

فإنــك إن لــم تَحْمِــل الــذنبَ فــي الهــوى يُفَارِقَــكَ مــن تهــوى وأنفــك رَاغِــمُ

النوع الثاني: أن يُضَمِّنُ الشاعر قسيماً (شطراً): "ومن الشعراء من يُضَمَّنُ قسيما نحو قول بعضهم، يظن ابن رشيق أنه الصولي: [الطويل]

خُلِقْــتُ عَلَــى بــابِ الأَميــرِ كَــأَنني قفــا نبــك مــن ذكــرى حبيــب ومنــزل[2]

النوع الثالث: أن يقلب البيت، فيضمنه معكوساً نحو قول العباس بن الوليد بن عبد الملك لمسلمة بن عبد الملك في أبيات كثيرة: [الوافر]

لَقَــدْ أَنْكَرتنــي إنْكَــارَ خــوفٍ يَضُــمُ حَشَــاكَ عــن شَــتْمي دَخْلــي

كقــولِ المــرء عمــرو فــي القــوافي لِقــيسٍ حــين خَــالَفَ كُــلَّ عــدلِ

عُــذيرك مــن خِلِيلــكَ مِــنْ مُــرَادٍ أُرِيــدُ حياتَــهُ ويُرِيــدُ قَتْلِــي

والبيت المضمَّن لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، يقول لابن أخيه قيس ابن زهير بن هبيرة بن مكشوح المراري، وكان بينهما بُعدٌ شديدٌ وعداوةٌ عظيمة، وحقيقته في شعر عمرو:

أُرِيــدُ حَياتَــه ويُرِيــدُ قَتْلــي عُــذَيركَ مــن خليلــك مِــنْ مُــرادِ[3]

النوع الرابع: أن يُضمِّن الشاعر قسيمين من وزنين: "ومن التضمين ما يجمع فيه الشاعر قسيمين من وزنين، كقول على ابن الجهم بعرض بـ "فضل" الشاعرة جارية "المتوكل"، و"بنان" المُغنى، وكانا يتعاشقان، فإذا غنى: [مجزوء الرمل]

اســـــــمعى أو خَبِرِينـــــــا يـــــا دِيـــــارَ الظاعِنينَـــــا

([1]) الحسن بن رشيق القيرواني، "باب التضمين"، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، الجزء الأول، تحقيق د. النبوي عبد الواحد شعلان، القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت، ص٧٢٢.

([2]) ابن رشيق القيرواني، العمدة، ص٧٢٢.

([3]) المرجع السابق، ص٧٢٣، ٧٢٤.

غَنَّتْ هي كالمجاوبة له عما يقول: [الوافر]

ألا حُيِّيـــتَ عنـــا يـــا مَـــدِيَنا وهـــل بـــأس يقـــولٍ: مســـلَّمينا؟

فقال علىٌّ في ذلك: [مجزوء الرمل]

كُلَّمـــــا غّنَّـــــى بنـــــانُ اســـــــــمعي أو خبرينـــــــا

أنْشَـــــدَتْ فضـــــلُ: الأ حيـــــ ـــــتَ عنـــــا يـــــا مـــــدينا

عارضـــــت معنـــــى بمعنـــــى والنـــــــدامى غـــــــافلون

أحْسَـــــنَتْ إذْ لَـــــمْ تُجَاوِبْـــــ هـــــم دِيـــــارُ الظاعِنينَـــــا[1]

النوع الخامس: أن يُلمِّحُ الشاعر بقصةٍ معروفة أو معنى بيت مشهور، وهو ما يُسمى بتضمين المعنى: "ومن التضمين ما يحيل الشاعر فيه إحالة ويشير به إشارة فيأتي كأنه نظم الأخبار، أو شبيه به، وذلك نحو قول بعضهم في معنى قول ابن المعتز: [الطويل]

كَمَـــا قَـــالَ عبـــاسُ وأَنْفِـــي رَاغِـــمُ[2]

إنه لم يُرد الأبيات المتقدم ذِكْرُها، وإنما أراد قوله للرشيد حين هجرته "ماردة": [السريع]

لَا بُـــدَّ للعَاشِـــقِ مِـــنْ وقفـــةٍ يَكُـــون بَـــيْنَ الوَصْـــلِ والصَّـــرْمِ

حتـــى إذا الهَجْـــرُ تمـــادى بِـــهِ رَاجَـــعَ مـــن يَهْـــوىَ علـــى رَغْـــمِ[3]

النوع السادس: أن يأتي الشاعر في شعره بمعنى لمثل شعبي أو حكمة معروفة أو قول مأثور مع تغيير في السياق. وهذا النوع أبعد التضمينات كلها، وأقلها وجوداً، وذلك على نحو قول أبي تمام. [الطويل]

لَعَمـــرْوً مـــع الرَمْضَـــفاءِ والنـــار تَلتَظـــي أَدَقُ وأَخْفَـــى مِنْـــكَ فـــي سَـــاعَةِ الكَـــرْبِ

أراد البيت المضروب به المثل: [البسيط]

المُســـتجيرُ بعمـــروٍ عِنْـــدَ كُرْبَتِـــه كالمُســـتَجيرِ مِـــنَ الرَمْضَـــاءِ بالنَـــارِ[1]

([1]) ابن رشيق القيرواني، العمدة، ص٧٢٤.

([2]) المرجع السابق، ص٧٢٥.

([3]) ابن رشيق القيرواني، ص٧٢٦.

النوع السابع: هو التضمين العروضي. "ومن أنواع التضمين تعلُّق القافية بأول البيت الذي بعدها، وقد ورد ذكره في باب القوافي"[٢].

وتعرَّض الزمخشري (ت: ٥٣٨ه) للمعنى اللغوي والاصطلاحي للتضمين ولم يذكر التضمين البلاغي أو العروضي للشعر[٣].

وحدثنا أسامة بن مُنقذ (ت: ٥٨٤ه) عن التضمين في كتابه **البديع في البديع** في نقد الشعر فقال: "اعلم أن التضمين هو أن يُضمِّن البيت كلمات من بيت آخر مثل قول عنترة العبسي في القصيدة التي مطلعها:

هَلْ غادَرَ الشعراءُ مِنْ متردم ... أَمْ هَلْ عَرفت الدار بعد تَوَهُّمِ

إذْ يتقون بي الأسنة لم أخِمْ ... عنها ولكنِّي تضايقَ مُقْدَمي

ضمَّنه مسلم بن الوليد، فقال:

ولقد سَما للخرمي، فَلَمْ يُقل ... يَومَ الوغَى: إني تَضَايقَ مُقدمي[٤]

وتطرَّق الإمام فخر الدين الرازي محمد بن عمر (ت: ٦٠٦ه) إلى التضمين المزدوج في الفصل الثاني من كتابه **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، فقال: "وهو أن يكون المتكلم بعد رعايته الأسجاع يجمع في أثناء القرائن بين لفظتين متشابهتي الوزن والروى. كقوله تعالى: {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} [النمل: ٢٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "المؤمنون هينون لينون"، وكقولهم: فلان رفع دعامة **الحمد والمجد** بإحسانه، وبرز **بالجد والحد** على أقرانه[٥].

سبق أبو هلال العسكري فخر الدين الرازي في تعريف الازدواج، ولم يصرح بأنه تضمين كما فعل الرازي، وذكرت د. إنعام عكاوي ود. منير سلطان أن الازدواج من التضمين.

وشرح محمد مكرم ابن منظور (ت: ٧١١ه) في كتابه لسان العرب في باب " ض م ن"، فقال: "والمضمن من الشعر؛ ما ضمنته بيتا، وقيل ما لم تتم معاني قوافيه إلا بالبيت الذي يليه كقوله:

يا ذا الذي في الحب يَلحَى، أما

والله لو عُلقت منه كما
عُلّقت من حُبٍّ رحيم، لما

---

(١) المرجع السابق، ص٧٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص٧٢٧.

(٣) يُنظر: محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٣م، ص٥٤.

(٤) أسامة بن مُنقذ بن على بن منقذ، **البديع في البديع في نقد الشعر**، حققه وقدم له عبداً على مهنا، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ص ص ٣٥٠، ٣٥١.

(٥) محمد بن عمر فخر الدين الرازي، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، القاهرة: الأزهر الشريف، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، د.ت، ص٩٨.

لَمْـــت علـــى الحُـــبِّ، فـــدعني ومـــا[1]

وقد سبقه كل من الفراهيدي والجوهري في ذكر هذا النوع من التضمين، وهو بذلك يتفق مع الرماني والباقلاني والسيوطي.
وقسَّم الخطيب القزويني (ت: ٧٢٩ه) ما أسماه السرقات الشعرية خمسة أقسام: الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح. يقول عن التضمين: "وأما التضمين فهو أن يضمن الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء كقول بعض الشعراء قيل هو ابن التلميذ الطيب النصراني:

كـــــأن بُلهنيـــــةَ الشـــــبيبة ســـــكرةٌ فصـــــحوت واســـــتبدلت ســـــيرةَ مُجْمـــــلِ

وَقَعـــــدتُ انتظـــــرُ الفنـــــاء كراكـــــبِ عَـــــرَفَ المَحَـــــلَ فبـــــات دُونَ المُنـــــزِلِ

البيت الثاني لمسلم بن الوليد الأنصاري[2].
ويُسمى تضمين البيت فما زاد "استعانة"، وتضمين المصراع فما دون تارة "إيداعاً" وتارة "رفوا"[3].
والجدير بالذكر تعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في الهامش عن حسن التضمين للشعر، إذ يتفق في رأيه مع البلاغيين والنقاد الأوائل ممن تكلموا عن التضمين بكونه أحد أفرع البلاغة، وهو بعيد عن السرقة، يقول: "وحُسن التضمين للشعر، وهو أن يضمن الشاعر شعره شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً، وقد عرَّف هذا المعنى من قبله ابن المعتز، ولكنهم لم يلقبوه هذا اللقب. وقد نقد عبد الله بن طاهر أبا تمام في اقتباسه من القرآن في شعر له ورأى أن القرآن أجل من أن يُستعار شيء من ألفاظه للشعر.
واقتباس فقرة من كتاب ألّفهُ الغير لتدخل في نص علمي أو أدبي أو فني دون ذكر المصدر يُعَدُّ من السرقة، كما أن اقتباس أكثر من بيتين في الشعر ضمن إحدى القصائد دون التنبيه على الشاعر الأصلي المقتبس منه فهو سرقة شعرية، في حين أن اقتباس بيتين فما دون من شعر الغير مع ذكر المصدر فهو تضمين. ويمكن الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف بحيث يأتي في مواضع تليق بمقامهما المقدس ولا تحط من شأنهما.
وقسَّم أحمد بن إسماعيل ابن الأثير الحلبي (ت: ٧٣٧ه) التضمين قسمين، معيب وغير معيب. "فالمعيب لا تعلق له بعلم البديع؛ لأنه من علم العروض، وهو أن يكون البيت الأول لا يُفهم معناه إلا بإيراد الثاني، وغير المعيب معناه أن يضمِّن الشاعر شعره أو الناثر كلامه كلام غيره ليكون للكلام طلاوة وحلاوة بالتضمين، لاسيما إذا كان التضمين آية من القرآن الكريم أو فقرة من الحديث النبوي. وفي ذلك شرط، وهو إذا ضمَّن المتكلم كلامه قرآنا أو حديثاً يشترط عليه أن لا يتعرض إلى نقص شيء من حكم تلك الآية أو يتعرض إلى تنقيص أحد من الأنبياء..." [4].

---

(1) محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، **لسان العرب**، الجزء السادس، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م، ص٦٥.

(2) الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، الجزء الرابع، شرح وتعليق وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الجيل، د.ت، ص ص ١٤٠، ١٤١.

(3) المرجع السابق، ص١٤٣.

(4) أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، "باب التضمين"، جوهر الكنز، **تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة**، تحقيق محمد زغلول سلام، الإسكندرية: منشأة المعارف، جلال حزى وشركاه، د.ت، ص ص ٢٦٢، ٢٦٤.

وجاء عن محمد بن محمد ابن عمرو التنوخي (ت: ٧٤٨ه) في كتاب **الأقصى القريب** في علم البيان قوله: "ومن البيان التضمين، والتضمين – مستعمل في علوم الأدب على أنواع، منها تضمين القافية، وهو أن تكون الكلمة التي هي آخر البيت متعلقة بالبيت الذي بعده، كقول بِشر بن أبي حازم:

وكعبـــاً فسَـــائلْهُم عنّـــا والريـــا ت وســـائل هـــوازن عَنَّـــا إذا مـــا

لقينـــــاهم وكيـــــف نعلـــــيهم بـــــواتر يعـــــزين بيضـــــا دهامـــــا

وذلك من عيوب القافية وليس من البيان في شيء[١].

وذكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ه) التضمين في كتاب الفوائد، المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان فقال: "والتضمين هو أن تضمن اسما معنى اسم لإفادة معنى الاسمين فتعديه تعدية في بعض المواطن. وهو أربعة أقسام:

(الأول) قوله تعالى: {حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} [الأعراف: ١٠٥] ضمَّن حقيق معنى حريص ليفيد أنه محقوق يقول الحق وحريص عليه (الثاني) من التضمين أيضاً أن تُضمِّن فعلاً معنى فعل آخر لإفادة معنى الفعلين وتعديه أيضاً تعديته في بعض المواطن، وهو في القرآن الكريم كثِر. منه قوله تعالى: {لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا} [الحج:٢٦] ضمن لا تشرك معنى لا تعدل – والعدل – التسوية أي لا تسوى بالله شيئاً في العبادة والمحبة فإنهم عبدوا الأصنام كعبادة الله وحبوها كحب الله، ولذلك قال الذين في النار: {تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨)} [الشعراء] وما سووهم به إلا في العبادة والمحبة. دون أوصاف الكمال ونعوت الجمال والجلال. (الثالث) قوله عز وجل: {إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا} [القصص: ١٠٠] ضمن لتبدي به معنى لتُخْبِر به أو لتُعْلِم ليفيد الإظهار معنى الإخبار لأن الخبر قد يقع سراً غير ظاهر. (الرابع) قوله تعالى:{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} [الإنسان: ٦] ضمن يشرب معنى يروي أو معنى يلتذ ليفيد الشرب والري أو الشرب والالتذاذ جميعاً[٢].

وقد اتفق ابن قيم الجوزية مع ابن الأثير في ضرورة الابتعاد عن التضمين المعيب الذي يضع آيات الله سبحانه وتعالى، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في مواضع غير لائقة بجلال كلام الله، ومقام الرسول الكريم، وهذا أمر يُحمد لهذين العالمين الفاضلين.

وأكَّدَ الأصبحي العنابي الأندلسي (ت: ٧٧٦ه) في كتابه **الوافي بمعرفة القوافي** قول ابن منظور في التضمين العروضي واتفق مع الخليل فقال: "هو أن تفتقر قافية البيت لفظاً ومعنى إلى ما بعدها لتتم به"[٣].

وأوضح جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ه) أن التضمين من المجاز فقال: "التضمين وهو إعطاء الشيء معنى الشيء، ويكون في الحروف والأفعال والأسماء أما الحروف فتقدم في حرف الجر وغيرها، وأما الأفعال فأن يُضَمَّنَ فعلُ معنى فعل أخر فيكون فيه معنى الفعلين معاً؛ وذلك بأن يأتي الفعل متعدياً بحرف ليس من عادته التعدي به، فيحتاج إلى تأويله أو تأويل الحرف ليصح التعدي به.....

---

(١) محمد بن محمد بن عمرو التنوخي، **الأقصى القريب في علم البيان**، الطبعة الأولى، صححها وقرأها عز الدين أبو عبد الله محمد الأسيوطي، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٧، ص١٠٢.

(٢) ابن قيم الجوزية، **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان**، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ص٢٧.

(٣) أحمد بن محمد بن على الأصبحي العنابي الأندلسي، "**باب التضمين المعيب**"، **الوافي بمعرفة القوافي**، تحقيق ودراسة د. نجاة بنت حسن بن عبد الله متولى، الرياض: الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ص٢٠٨.

أما في الأسماء فأن يُضَمَّنَ اسمٌ معنى اسم لإفادة معنى الاسمين معاً نحو {حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} [الأعراف: ١٠٥] ضمَّن حقيق معنى حريص ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه. وإنما كان التضمين مجازاً؛ لأن اللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معاً. فالجمع بينهما مجاز"[١].

وعرَّف الشيخ عبد الرحيم أحمد العباسي (ت: ٩٦٣ه) التضمين في كتابه **التنصيص على شواهد التلخيص**، فقال: "والتضمين: "هو أن يُضمِّن الشاعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه، إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء، وإن كان مشهوراً فلا حاجة إلى التنبيه. ومن شواهد التضمين:

إِذَا الــوَهمُ أَبْــدىَ لــي لَمَاهَــا وثّغْرَهــا "تَــذَكَرْتُ مــا بَــيْنَ العَــذيب وَبــارقِ"

وَيَــذْكُرني مــن قَــدِهَا ومَــدَامِعِي "مَجَــرَّ عوالينــا ومجــرى الســوابق"[٢]

"والعذيب:: ماء من مياه العرب، وبارق من ديارها.

والشاهد فيهما التضمين، فإن المصراعين الأخيرين منهما مطلع قصيدة لأبي الطيب المتنبي يمدح بها سيف الدولة، ويذكر وقعته ببني عقيل، فنقلهما ابن أبي الإصبع من الحماسة إلى الغزل"[٣].

ولم يضُفِ العباسي إلى من سبقوه شيئاً عن تعريف التضمين، لكنه أتى بالجديد في وصف "الاستعانة"، فقال: "والاستعانة: أن يستعين الشاعر ببيت لغيره في شعره، بعد أن يوطئ له توطئة لائقة به بحيث لا يبعد ما بينه وبين أبياته، وخصوصاً أبيات التوطئة، وكذلك الناثر، إلا أن يكون البيت لنفسه فيمسى "تسهيراً"[٤]. وقد اتفق العباسي مع محمد بن على الجرجاني (ت: ٧٢٩ه) صاحب كتاب **الإشارات والتنبيهات** على أن الاستعانة والإيداع والرفو من التضمين[٥].

وجعل العباسي العنوان فرعاً من التضمين فقال: "والعنوان: هو أن يأخذ المتكلم في عرض له من وصف أو فخر أو هجاء أو مديح أو عتاب أو غير ذلك، ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون عنواناً لأخبار متقدمة أو قصص سالفة. ومثل ذلك قول أبي تمام لأحمد أبي دؤادة. [من الوافر]

تَثَبــــتْ، إنَّ قَــــولاً كــــان زُورَا أَتَــــى النعمــــانُ قَبْلَــــك فــــي زيــــاد

فــــأرث بَــــيْنَ حــــيَّ بَنــــي جــــلاح لظــــى حَــــرْبِ وحــــيِّ بنــــي مَصَــــار

وَغَــادرَ فــي صُــدُورِ الــدهرِ قَتلَــى بنــــى بَــــدْر علــــى ذَاتِ الإرصــــادِ

---

(١) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، الجزء الرابع، الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، مركز الدراسات القرآنية، ص ص ١٥٢٦، ١٥٢٧.

(٢) عبد الرحيم العباسي، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، الجزء الرابع، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: عالم الكتب، د.ت، ص١٤٤.

(٣) المرجع السابق، ص ص ١٤٤، ١٤٥.

(٤) عبد الرحيم أحمد العباسي، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، ص١٥٤.

(٥) ينظر: محمد بن على بن محمد الجرجاني، **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية منشورات محمد على بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، د.ت، ص٢٤٨.

فأتى بعنوان يشير إلى قصة النابغة حين وشى به الواشون إلى النعمان، وما جرى في ذلك من السعي للحروب التي انطوت عليها قطعة من أيام العرب. ثم التضمين تارة يكون لبيت فما فوقه، أو مصراع فما دونه[1].

فرَّق العباسي بين التضمين والسرقات الشعرية وتوسع في شرح الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف مع كثرة الشواهد وحذَّر من الاقتباس المنهي عنه وشواهده عند ابن النبيه. وقد أخذ عن ابن الأثير وابن قيم الجوزية واتفق معهم وأضاف إليهم، وتوسع وجعل عنوان كتابه معاهد التنصيص على شواهد التلخيص دليلاً على محتواه، فقد خصص ولخص، وفَنَّدَ وشرح وأفاد من علماء أجلاء أخذ عنهم وأضاف إليهم فصار سجلاً ومرجعاً.

وتأتي بعد الشيخ العباسي مرحلة أخرى هي مرحلة الحداثة لينتقل فيها التضمين ما بين العرب الغربيين. فعند العرب ظل التضمين باقياً وعند الغربيين أصبح تناصاً.

ثانياً: التضمين في العصر الحديث

لم يحظ التضمين في بدايات العصر الحديث بما حظى به في التراث؛ فكان أول ظهور له في المعاجم العربية. وبعد ظهور مصطلح التناص الغربي وذيوع شهرته في الساحات الأدبية والنقدية، تنبهت عقول عربية منصفة إلى أن التناص الغربي في الأصل تضمين عربي، بإضافات وتوسعات نتجت عن الثقافات الغربية بمختلف المفاهيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعقائدية.

التضمين في الدراسات العربية الحديثة:

فسَّر المعجم الوسيط في باب "ضمن" مفردة التضمين في المعجم الوسيط، فقال: "التضمين عن علماء العربية على معان: منها إيقاع لفظ موقع غيره ومعاملته معاملته لتضمنه معناه واشتماله عليه. ومنها أن يكون ما بعد الفاصلة متعلقا بها. والتضمين في علم القوافي: أن تتعلق قافية البيت بما بعده على وجه لا يستقل بالإفادة.

والتضمين في البديع أن يأخذ الشاعر أو الناثر آية أو حديثاً أو حكمة أو مثلاً، أو شطر أو بيتاً من غيره بلفظه ومعناه[2].

وفي **معجم مصطلحات الأدب** في باب "التضمين" يقول د. محمود على مكي: "التضمين في علوم اللغة ثلاثة معان تختلف باختلاف المجال الذي يستعمل فيه. وهو عند العروضيين: عدم استقلال البيت الشعري بالمعنى وحاجته إلى البيت الذي يليه، وذلك عند فريق يُعُّد من عيوب القافية. وقد أطلق عليه بعضهم المحاظلة مثل قول النابغة:

وَهُـــم وردوا الجِفَـــارَ علـــى تمـــيم وهُـــم أصـــحابُ يـــوم عكـــاظ إنِّـــي

شَـــهِدتُ لَهُـــمْ مـــواطنَ صَـــادِقاتٍ شـــهِدْنَ لهـــم بحســـن الظّـــنِ منـــي

والتضمين عند النحاة: هو تضمين الحرف أو الفعل معنى حرف أو فعل آخر. وعند البلاغيين: هو إدخال الشاعر في قصيدته بعض شعر غيره وتضمينه ليتلاءم مع نسيج شعره ومعناه، فإذا كان الأخذ من القرآن أو الحديث سُمِي اقتباساً[3].

وفي المعجم المفصل في علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني أوضحت الدكتورة أنعام عكاوى معنى الاقتباس ومعنى التضمين؛ إذ ترى أن التضمين ما هو إلا اقتباس بأشكال متغايرة ذكرها نقاد وبلاغيون قدماء واتفق معهم المحدثون، وأضافت د. إنعام عكاوي رافداً أخر من روافد التضمين هو

([1]) عبد الرحيم أحمد العباسي، **معاهد التنصيص**، ص ص ١٥٦، ١٥٧.

([2]) د. إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، الجزء الأول، ص٥٤٤.

([3]) د. محمود على مكي، وآخرون، باب التضمين، **معجم مصطلحات الأدب**، الجزء الأول، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٣م، ص٤٢.

التضمين المزدوج فقالت: عرَّف الرشيد الوطواط في كتابه **"حدائق السحر"** فقال: ويكون بأن يورد الشاعر أو الكاتب في عباداته أو أبياته لفظين أو مزدوجين وذلك بمراعاة لحدود الأسجاع والقوافي. ويعتبر تعريف الرازي شبيه بتعريف الرشيد الوطواط مع بعض التصرف، وهو التالي: هو أن يكون المتكلم بعد رعاية الأسجاع يجمع في أثناء القرائن بين لفظين متشابهين الوزن والروى كقوله تعالى: {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} [النمل: ٢٢] [هكذا. والصواب بنبأ يقين]. وعرفه ابن الزملكاني بقوله: "هو أن يقع في أثناء قرائن التعريف مع الأمثلة. وأشار ابن معصوم المدني في كتابه **"أنوار الربيع"** إلى أن هذا الفن البلاغي من مخترعات صاحب **المعيار** ومنه قول البحتري: [الكامل]

إن الظِبَـــاء عَـــذَاة سَـــفْح محجَّـــر هَـــيَّجْنَ حـــرَّ جـــوى وفـــرط تَـــذكُر

مـــن كُـــلِّ شـــاجي الطّـــرفِ أغْيـــدَ أجيـــد مُهَفْهَـــفَ الكشـــحَين أحـــوى أحـــور

واللفظان المسجعان هما "أغيد" و "أجيد" إذ يشتركان في الوزن أفعل والقافية يد"[١].

وعرَّف الدكتور منير سلطان التضمين في **موسوعة لغتنا الجميلة** فقال: "التضمين: اقتباس جملة أو بيت شعر، أو حديث شريف أو آية قرآنية وضمها للعمل الأدبي شعراً كان أو نثراً بفنون النثر المعروفة – قصة أو رواية أو مسرحية أو مقالاً أو خطبة – أو في كلام عادي في حياتنا اليومية"[٢].

وفي كتابه **"التضمين والتناص: وصف رسالة الغفران للعالم الآخر (نموذجاً)"**، طبَّق د. منير سلطان منهجه: التأصيل والتجديد، الذي يبدأ من التراث ليعود إلى التراث، محملاً بفكر جديد. بدأ بتعريف مصطلح "التضمين" لأنه الأعمق جذوراً والأسبق وجوداً في البلاغة، ثم جاء بعده "بالتناص" لأنه الأحدث والأقصر عمراً بالرغم من انتشاره.

ويُحمد للدكتور منير سلطان أنه أول من استخدم مصطلح "وظيفة التضمين" وهي الإيجاز والتأكيد والتمثيل وزيادة الفائدة. وميزان النقد الذي يحكم على التضمين بالجمال والحسن أو القبح أو المنبوذ أو المحظور والمنهى عنه. وأوضح د. سلطان أن مصطلحات عدة انبعثت من التضمين مثل الإيداع والاستعانة والتمليط والتوطيد والتأسيس والتفصيل والاقتباس والرفو. يقول: "تجلَّت براعة النقاد العرب في كشف جماليات التضمين "التي تركزت في زيادة الفائدة، والإيجاز، والتوكيد والتمثيل، ولاحظوا أن "التضمين" يضفي جمالاً على النص، وأنه يكون حسناً ويكون قبيحاً، وأن التجانس شرط من شروط الحسن فيه. لقد قاموا بواجبهم خير قيام فلا نظلمهم ولا نطالبهم بما توصلت إليه عقول في العصر الحديث تأثرت بتيارات فلسفية واجتماعية واقتصادية ثم إبداعات، هي إفراز طبيعي للتطور المذهل الذي حققه العقل البشري في الغرب وبقى على الشرق أن يقوم بواجبه[٣].

وكان الشيخ أحمد مصطفى المراغي (ت: ١٩٥٢م) قد أوضح في كتابه **علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع** أن ما يتصل بالسرقات الشعرية هو: الاقتباس والتضمين والعقد والحل. وعرَّف التضمين فقال: "وهو أن يضمِّن الشاعر كلامه شعراً من شعر غيره مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً لدى نقاد الشعر وروى اللسن، كقول الحريري يحكى ما قاله الغلام الذي عرضه أبو زيد للبيع.

عَلَـــى أَنـــي سَأَنْشِـــد عِنْـــدَ بَيْعـــي (أَضَـــاعُوني وأيَّ فَتَـــى أَضَـــاعُوا)

---

(١) د. إنعام فوَّال عكاوي، **المعجم المفصل في علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني**، مراجعة أحمد شمس الدين، لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت، ص٣٧٦.

(٢) د. منير سلطان، **موسوعة لغتنا الجميلة من الألف إلى الظاء**، الإسكندرية: منشأة المعارف: جلال حزي وشركاه، ٢٠١١م، ص١٣٠.

(٣) د. منير سلطان، **التضمين والتناص، وصف رسالة الغفران للعالم الآخر نموذجاً**، الإسكندرية، منشأة المعارف، جلال جزى وشركاه، ٢٠١٤، ص٣٠.

المِصراع الأخير للعرجي، وأصله

أضَـــــاعُوني وأيَّ فتـــــىً أضَـــــاعُوا ليـــــومِ كَرِيَهـــــةٍ وســـــدادٍ ثَغْـــــر[1]

وقد ذكر المراغي أنواع التضمين في الهامش بأن تضمين البيت فما زاد استعانة، وتضمين المصراع يسمى رفوا أو إيداعاً؛ وكيف يكون التضمين من السرقات وله قواعد وأصول تحدده ومقاييس تحكمه حددها البلاغيون والنقاد.

ويرى د. بسيوني فيود أن التضمين يختلف عن الاقتباس مغايراً بذلك المفاهيم القديمة والمعاصرة المتعارف عليها لكوكبة من علماء البلاغة والنقاد، فيقول: "أما التضمين فيختلف عن الاقتباس بأنه لا يكون من القرآن ولا الحديث، بل يكون من كلام آخر غيرهما، كما أنه لا يكون في النثر، بل في الشعر خاصة. وقد عرفوه بقولهم: أن يضمن الشاعر نظمه شيئاً من نظم غيره مع التنبيه عليه إن لم يكن من الأشعار المشهورة.

كما في قول القاضي الفاضل مادحاً:

أيـــا صـــالحَ الآمـــالِ كـــم قلـــت مَثْنيـــاً إذا نحـــــن أثْنيْنـــــا عَلَيـــــكَ بِصَـــــالحِ

فقد ضمَّن بيته شطراً من بيت أبي نواس:

إذا نَحـــــنُ أثْنينـــــا عَلَيـــــكَ بِصَـــــالحِ فَأَنْـــتَ كَمَـــا نُثْنُـــي وفَـــوْقَ الـــذَّي نَثْنُـــي[2]

اتفق د. فيود مع القزويني في تضمين الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء.

التضمين في الدراسات الغربية:

تعريف التضمين عند د. أماريب سينج Dr. Amardeep singh

"يشير التضمين إلى معنى ينطوي بداهة على لفظ بمعزل عن الشيء الذي يصفه ظاهرياً. وتحمل الألفاظ معاني ثقافية وعاطفية، بالإضافة إلى المعاني أو الدلالات الأدبية. فعلى سبيل المثال، تعني عبارة "وول ستريت" حرفيا الشارع الواقع في مانهاتن السفلى، ولكنها تشير تضميناً إلى "الثورة والقوة". ويقول عن **التضمين الإيجابي والسلبي.**

قد تكون للكلمات مضامين إيجابية أو سلبية تعتمد على خبرات الأفراد الاجتماعية والثقافية والشخصية. فمثلاً: تحمل كلمات "طفولي" و "شبه طفل" و "شبابي" الدلالات ذاتها، ولكنها تختلف في المعاني التضمينية؛ فكلمتا "طفولي" و "يشبه الطفل" تضمينات سلبية، حيث أنهما تشيران إلى سلوك غير ناضج لشخص ما؛ في حين تنطوي كلمة "شبابي" على شخص مفعم بالحياة والنشاط.

ويوضح أمثلة للتضمين في الأدب: "من الممارسات الشائعة بين الكُتاب في الأدب ما ينحرف عن المعاني الحرفية للكلمات، من أجل إبداع أفكار جديدة. وكثيراً ما يستخدم الكُتَّاب المجاز figures of speech كأمثلة لذلك الانحراف.

---

(1) أحمد مصطفى المراغي، **علوم البلاغة، البيان والمعاني، والبديع**، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ص٣٧٤.

(2) د. بسيوني فيوُد، **دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع**، الأحساء: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، د.ت، ص٢٦٩.

وتنشئ كلمتا "السخرية" Irony و "الهجاء" satire معاني دلالية مخالفة لمعنيهما الحرفيين. فعلى سبيل المثال: نرى ملاحظة تهكمية تصدر من أنطونيو إلى شايلوك، اليهودي في مسرحية وليام شيكسبير **تاجر البندقية** يقول فيها:
"مرحبا بك أيها اليهودي الجليل؛ قد يتحول اليهودي إلى مسيحي ليصبح طيباً".
فلكلمة "يهودي" دلالة سلبية للشر، في حين تظهر كلمة "مسيحي" بوضوح دلالة إيجابية للطيبة. وتكمن وظيفة التضمين في أنه: يمهد في الأدب الطريق للإبداع باستخدام المجاز مثل الاستعارة والتشبيه والرمزية والتشخيص وغير ذلك. فإذا اطمأن الكُتَّاب أنفسهم باستخدام المعاني الحرفية فقط، فلن يكون هناك سبيل إلى المقارنة بين الأفكار النظرية المحددة وبين المفاهيم العينية التي تدركها الحواس، من أجل تهيئة القارئ لمفهوم أفضل. ولهذا فإن معاني الكلمات الدلالية التضمينية تسمح للكتَّاب بإضافة أبعاد إلى أعمالهم، أرحب وأكثر أناقة وحيوية[١]. [ترجمتي]

ثالثاً: التناص Intertextuality:

كلمة التناص نشأت كمصطلح صاغته "جوليا كريستيفا" البلغارية الأصل عام ١٩٦٦م. وقد أخذت فكرة اللغة الحوارية من أستاذها الروسي "ميخائيل باختين ١٩٢٨م وطورتها إلى مفهوم التناص؛ الأمر الذي أحدث ثورة في اللغة الشعرية، وهو عنوان كتابها المعروف.

ويؤكد رولان بارت أن جوليا كريستيفا قد أعدت تعريفاً مبدئياً للنص ومن ثم مفاهيم أخرى ارتبطت بالنص، يقول: "كانت جوليا كريستيفا Julia Kristiva" قد أعدت مبدئياً تعريفاً جامعاً وأصولياً للنص إذ قالت: (نُعِّرف النص بأنه جهاز نقل لساني يعيد توزيع نظام اللغة واضعاً "الحديث التواصلي، ونقصد المعلومات المباشرة في علاقة مع ملفوظات مختلفة سابقة أو متزامنة). هذا تعريف جوليا كرييستيفا التي ندين لها أيضاً بالمفاهيم النظرية الرئيسية المماثلة ضمنياً في هذا التعريف:
ممارسات دلالية، الإبداعية، التمعني، خلقة النص، تحلق النص، التناص[٢].
ويرى د. محمد عناني أن التناص لا يقتصر على الإشارة أو التضمين فحسب، بل يُمثِل تمازجاً كبيرا بينهما، يقول: "التناص intertextuality، معنى المصطلح هو العلاقة بين نصين أو أكثر. وهي التي تؤثر في طريقة قراءة النص المتناص intertext، أي الذي تقع فيه آثار لنصوص أخرى أو أصداؤها: فإذا كان التناص لا يقتصر على الآثار أو التضمين أو الأضداد، بل يمثل تمازجاً كبيراً، أطلق على الظاهرة تعبير transtextuality أي عبر النصية. وقد وضع جينيت مصطلحين هما hypertexte للإشارة إلى النص المتأثر و hypotext للإشارة إلى النص المؤثر[٣].
ومادة (التناص) بصورتها اللفظية لم تذكرها المعاجم إلا في (تناص) القوم عند اجتماعهم[٤].
ثم جاء جيل من النقاد الغربيين نظر إلى التناص بحيادية تحمل في طياتها أشكال التحفظ المقَّنع، لعدم وجود البديل لهذه النظرية في ذلك الوقت. فهذه مقدمة للدكتورة هانان جاكوبماير، أستاذة الأدب الإنجليزي بجامعة ميونخ بألمانيا، عن بحثها المقدم بعنوان: "دراسة تناصية في رواية "دائماً أبداً" "Ever after" للكاتب جراهام سويفت Graham Swift. تقول الناقدة: "أصبح التناص بؤرة الاهتمام العظمى في النقد الأدبي فيما بعد الحداثة، لسببين جوهريين: أولهما، شخصيته المهجنة، لكونه قابلاً للتطبيق في فقرات

---

(١) Dr. Amardeep singh: **Connotation, Literary Devices definition and example of literary terms.** www.google.com

(٢) رولان بارت، ترجمة د. محمد خيري البقاعي، **آفاق التناصية: المفهوم والمنظور**، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، د.ت، ص٣٧.

(٣) د. محمد عناني، **المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم، إنجليزي– عربي**، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ٢٠٠٣م، ص٤٦

(٤) د. محمد عبد المطلب، **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني**، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، د.ت، ص١٣٧.

محددة في النص، ولكونه فكرة نظرية للتواصل بين جميع الكتابات. وثانيهما، اللذة المكتسبة من تحقيق ألعاب الغميضة التي تهيؤها النصوص الأدبية بمراجعتها في التناص وتنتمي النقطة الأخيرة إلى المظهر المؤثر الذي غالبا ما يعد أشد إشراقاً في الأعمال الحديثة، وبالمثل في النقد المعاصر[١]. [ترجمتي]

وكأن ميشيل أوثان Michel otten في مقالة **"سيميائية القراءة"**، كان يبحث عن التضمين في النص بشكل جديد، وهو يتطرق إلى العلاقة بين النص والقارئ، "إن أكثر الفرضيات ببساطة هي أننا نفترض دائماً أن هناك في النص المقروء معرفة ضمنية بنص أو بمجموعة من النصوص السابقة المقروءة والمفهومة من قبل"[٢].

وبعد انتشار وتداول كبير، ظهرت دعاوى تنادي بموت التناص. "فمقولة (موت المؤلف) غير مقبولة أو هي "أكذوبة"، فلكل عمل صانع كما أن للوجود خالقه. إذاً هناك صحوة عودة إلى التاريخ إلى الجذور والمنابع عودة إلى التضمين"[٣].

وهكذا قدم البحث تعريفاً للتضمين مع تتبع نشأة المصطلح والإضافات التي اكتسبها قروناً عدة إلى وقتنا هذا. فقد حظي بمسميات كثيرة منها الاقتباس والإيداع والاستعانة والرمز والعنوان والتسهير والحل والعقد والتلميح، وكلها تدور في فلك التضمين.

أما التناص فقدمه البحث بشكل العرض السريع للمفهوم والمحتوى، نظراً لانتشاره وشهرته في الدرس الأدبي البلاغي والنقدي واللغوي بشكل عام. ونظراً لتزامن وجود المصطلحين في درس واحد، فقد حرص د. منير سلطان على إيجاد نقاط التماس والتجاوز بينهما. "أقصد بالتماس": التلاقي، التوحد، العامل المشترك الأعظم بين التضمين والتناص، الجزء المشترك الذي يجمعهما في صعيد واحد، وهو الذي عبر عنه سوسير بأن للنص بيئة مكوكبة"[٤].

ويهدف البحث إلى العودة إلى مصطلح التضمين بعد تطعيمه بما يناسب ثقافتنا وتاريخنا الفكرى والأدبي من مصطلح التناص ليكون لدينا تضمين مُطعم بتقنيات التناص غير المحدودة.

نتائج البحث:

- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ه) أول من ذكر التضمين لغويا وعروضيا.
- ابن رشيق القيرواني (ت: ٤٦٥ه) قسم التضمين سبعة أقسام مع ذكر الأمثلة والشرح في كتابه العمدة في صناعة الشعر ونقده.
- ازدهر مصطلح التضمين في ما بين القرنين الرابع إلى الثامن الهجريين.
- انبعثت من التضمين عدة مصطلحات مثل الاقتباس والإيداع والرفو والاستعانة والتأسيس والتفصيل والعنوان والتسهير والعقد والحل والرمز والتلميح والتوطيد والتمليط.
- تكمن وظيفة التضمين في الإيجاز والتأكيد والتمثيل وزيادة الفائدة.
- لم يحظ التضمين في العصر الحديث بالاهتمام والانتشار رغم ازدهاره في التراث.
- التناص الغربي في الأصل تضمين عربي بإضافات نتجت عن اختلاف الثقافات.
- قسَّم العرب قديما التضمين إلى حسن ومقبول ومذموم، بينما قسمه الدارس الغربي حديثا إلى تضمين إيجابي وآخر سلبي.
- التضمين والتناص مصطلحان بينهما نقاط تماس وتجاوز. الجزء المشترك بينهما هو أنهما يسبحان في فضاء النصوص.

([1]) Dr. Hannan Jacobmeyer Mnster cart Hanser verlag, Munchen (1998) **Graham swift ever after: studying inter textuality** available at http://wectdoc.sub.gwdg.

([٢]) ميشيل أوتان، "سيميائية القراءة، آفاق التناصية، ترجمة د. محمد خير البقاعي، ص١٤.

([٣]) د. محمد عبد المطلب، **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني**، ص١٥٧.

([٤]) د. منير سلطان، **التضمين والتناص**، ص٦٦.

المراجع:

كتب التراث:

- أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، جوهر الكنز، **تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة،** تحقيق محمد زغلول سلام، الإسكندرية: منشأة المعارف، جلال حزي وشركاه، د.ت.
- أحمد بن محمد بن علي الأصبحي العنابي الأندلسي، **الوافي بمعرفة القوافي،** تحقيق ودراسة د. نجاة بنت حسن بن عبد الله متولي، الرياض: الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٨ه – ١٩٩٧م.
- أسامة بن منقذ، **البديع في البديع في نقد الشعر،** حققه وقدم له عبدا على مهنا، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- إسماعيل بن حماد الجوهري، جوهر الكنز، **تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة،** تحقيق محمد زغلول سلام، الإسكندرية: منشأة المعارف، جلال حزي وشركاه، د.ت.
- امرؤ القيس بن حجر الكندي، **ديوانه، دواوين الشعراء العشرة،** تحقيق محمد فوزي حمزة، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٧م.
- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن،** الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، مركز الدراسات القرآنية، د.ت.
- الحسن بن رشيق القيرواني، **العمدة في صناعة الشعر ونقده،** تحقيق: د. النبوي عبد الواحد شعلان، القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت.
- الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة،** شرح وتعليق وتنقيح د. محمد عبد المنعم حقاحي، بيروت: دار الجيل، د.ت.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين،** تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دائرة الشئون الثقافية والنشر، ١٩٤٨م.
- عبد الرحيم العباسي، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص،** تحقيق محمد ميمي الدين عبد الحميد، بيروت: عالم الكتب، د.ت.
- عبد الله بن المعتز، **كتاب البديع،** اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس أغناطيوس كراتشفوفسكي، ليننجرار، ١٩٧٩م.
- على بن عيسى الرماني، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،** سلسلة ذخائر العرب، تحقيق محمد خلف الله و د. محمد زغلول سلام، ط٣، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م.
- ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- محمد بن الطيب الباقلاني، **إعجاز القرآن،** القاهرة: المطبعة السلفية ومكتباتها ١٣٤٩ه.
- محمد بن علي بن محمد الجرجاني، **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة،** تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، د.ت.
- محمد بن عمر فخر الدين الرازي، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز،** تحقيق د. أحمد حجازي السقا، القاهرة: الأزهر الشريف، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، د.ت.
- محمد بن عمرو التنوخي، **الأقصى القريب في علم البيان،** ط١، صححها وقرأها عز الدين أبو عبد الله محمد الأسيوطي، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٧ه.
- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، **لسان العرب،** القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م.
- محمود بن عمر الزمخشري، **أساس البلاغة،** القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٣م.
- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، حققه وضبط نصه د. مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، طبعة محمد أمين الخانجي ١٣٢٠ه، مقارنة مع المطبعة المحققة لمحمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم إصدار عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، ١٩٧١م.
-

الكتب الحديثة:

- أحمد مصطفى المراغي، **علوم البلاغة، البيان، والمعاني، والبديع**، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- بسيوني فيود، **دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع**، الإحساء: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، د.ت.
- محمد عبد المطلب، **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني**، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ٢٠٠٣م.
- منير سلطان، **التضمين والتناص، وصف رسالة الغفران للعالم الآخر نموذجاً**، الإسكندرية، منشأة المعارف، جلال حزي وشركاه، ٢٠٠٤م.
- محمد خيري البقاعي، **آفاق التناصية، المفهوم والمتطور**، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، د.ت.

المعاجم العربية:

- إنعام فوال عكاوي، **المعجم المفصل في علوم البلاغة:** البديع والبيان والمعاني، مراجعة أحمد شمس الدين، لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت.
- د. محمد عناني، **المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي – عربي**، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ٢٠٠٣م.
- محمود على مكي وآخرون، **معجم مصطلحات الأدب**، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٤٢٨ه، ٢٠٠٣م.
- منير سلطان، **موسوعة لغتنا الجميلة من الألف إلى الظاء**، الإسكندرية: منشأة المعارف، جلال حزي وشركاه.

شبكة المعلومات

Dr. Hannan Jacobmeyer Mnster cart Hanser verlag, Munchen (1998) Graham swift ever after: studying inter textvality. Available at http://wect doc.sub.gwdg. Dr. Amardeep, literary devices definition and example of literary terms. www. Google. com.

التضمين بين التراث والتناص

ملخص البحث

التضمين مصطلح عربي قديم، أقدم من تناوله لغويًا وبلاغيًا عبدالله بن المعتز (ت: ٢٩٦ه) بعدما قدمه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٠٠ه- ١٨٠ه) في كتابه العين. وقد مر المصطلح بمراحل تطور وازدهار بدءًا بالقرن الرابع إلى القرن السادس الهجريين؛ حيث جعل الرماني (ت: ٣٨٤ه) للتضمين بابًا مخصصًا في كتابه النكت في إعجاز القرآن الكريم، وذَكره الباقلاني (ت: ٤٠٣ه) في كتابه إعجاز القرآن. وقسَّم ابن الأثير الحلبي (ت: ٧٣٧ه) التضمين قسمين: معيب وغير معيب. وأوضح ابن قيم الجوزيه (ت: ٧٥١ه) أن الاقتباس يسمى التضمين في كتابه الفوائد، المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، كما أوضح نماذج من التضمين المعيب وهو أن يأتي جماعة من الشعراء في أشعارهم بآيات من كتاب الله يستشهدون بها في واقعة ويصرفون كلام الله عن وجهته الصحيحة ويخرجون على المعنى الذي أُريد به في هذه الآيات البينات. أما التناص فهو مصطلح غربي طرحته جوليا كرديستيفا البلغادية الأصل عام ١٩٦٦م، وقد أخذت اللغة الحوارية من أستاذها الروسي ميخائيل باحتين ١٩٢٨م وطورتها إلى مفهوم التناص؛ الأمر الذي أحدث ثورة في اللغة الشعرية وهو عنوان كتابها المعروف. اكتسب التناص شهرة كبيرة فيما بعد بين جميع الكتابات. ويرى د.محمد عبدالمطلب أن التناص هو التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى أي أنه نقل تعبيرات سابقة.

ويرى مارك انجينو أن مصطلح التناص يشترك في استخداماته مع مصطلح البنيوية وهو أمر غير مقبول ويدعو إلى الابتذال لأن لكل عمل صانع كما أن للوجود خالقه، ومن هنا جاءت دعاوي تنادي بموت التناص وظهور صحوة العودة إلى التاريخ إلى المنابع إلى التضمين.

A précis of the research
Connotation: inheritance and intertextuality

Connotation is an ancient Arabic term. The first to deal with in language and elaboration was Abdullah bin Moataz (d. 296H), after it was introduced by Al-Khalil bin Ahmed Al- Farahidy (100- 180H), in his book Al- Aain. The term passed through periods of development, since the fourth to the sixth Higry centuries, when Al- Rummany (d. 384H). set a special chapter for connotation in his book: **the witty miracles in the holy Qur'an.** Al- Baquillany (d. 403H), mentioned the term in his book. **Miracles of Qur'an.** Ibn Al- Atheer Al. Halaby (d. 737H) divided it into two parts: ill – used and fine- used. Ibn Qaiyem Al-Gawziyah (d. 751H) called the quotation the connotation in his book: **the Earnest usage of the Qur'an sciences and the delineation.** Where in he set samples of the blemished connotation as were used by a group of poets, who quote verses of the Holy Qur'an to support some cases; but they deviate their meanings from the right meaning mentioned and intended thereby.

The intertextuality is western term developed by Julia Christiva, of the Bulgary origin- in 1966. She adapted the dialogue language of her professor the Russian Michael Baghtin (d. 1928G) to introduce the concept of intertextuality, which was the title of her well known book that developed a revolution in the poetic language.The material of intertextuality as a word, is not included in the Arabic lexicons; though it is used in social meetings.

Dr. Mohammad Abdul Mottalib asserts that intertextuality is an intrusion of a text of one origin into another, as a transform of previous expressions. Therefore, many claimants claim that intertextuality must perish, and there is an a wake that calls for the reference should be to the history of connotation.